أَفْعَلُ التّفضيل :

يُصاغ من الأفعال التي يجوز التعجب منها للدلالة على التفضيل وصفٌ على وزنِ (أَفْعَلَ) فيُقال : زيدٌ أفْضَلُ من عمروٍ ، و: أكْرَمُ من خالدٍ ، كما يُقال : مَا أفْضَلَ زيداً و: مَا أكْرَمَ خالداً ، وما امتنع بناء فعل التعجب منه امتنع بناء أفعل التفضيل منه ، فلا يُبنى : 1-من فعلٍ زائدٍ على ثلاثة أحرفٍ كـ : دَحْرَجَ – اسْتَخْرَجَ ، 2-ولا من فعل غير متصرف كـ : نِعْمَ – بِئْسَ ، 3-ولا من فعل لا يقبل المفاضلة كـ : مَاتَ – فَنِيَ ، 4-ولا من فعل ناقص كـ : كان وأخواتها ، 5-ولا من فعل منفي نحو : مَا عَاج بالدواءِ ، و: مَا ضَرَبَ ، 6-ولا من فعل يأتي الوصف منه على وزن (أَفْعَلَ) نحو : حَمِرَ ، وَ:عَوِرَ ، 7-ولا من فعل مبني للمفعول نحو : ضُرِبَ ، و: جُنَّ ، وشذَّ منه قولهم : هو أخْصَرُ من كذا ، فبنوا أفعل التفضيل من (اخْتُصِرَ) وهو زائد على ثلاثة أحرف ومبني للمفعول ، وقالوا : أَسْوَدُ من حلكِ الغرابِ ، و : أَبْيَضُ من اللبنِ ، فبنوا أفعل التفضيل شذوذاً من فعلٍ الوصف منه على وزن (أَفْعَلَ).

يُتوصل إلى التفضيل من الأفعال التي لم تستكمل الشروط بما يُتوصل به في التعجب أي بـ(أَشَدَّ) ونحوها ، فكما تقول : مَا أشَدّ استخراجه ، تقول : هو أشَدُّ استخراجاً من زيدٍ ، وكما تقول : مَا أشَدّ حمرته ، تقول : هو أشَدُّ حمرةً من زيدٍ ، لكن المصدر ينتصب في التعجب بعد (أشَدّ) مفعولاً وفي التفضيل ينتصب تمييزاً.

أحوال أفعل التفضيل : لا يخلو أفعل التفضيل عن أحد ثلاثة أحوال : 1-أن يكون مجرداً ، 2-أن يكون مضافاً ، 3-أن يكون بالألف واللام ، فإن كان مجرداً فلابد أن يتصل به (مِنْ) لفظاً أو تقديراً ، جارة للمفضل نحو : زيدٌ أفضلُ من عمروٍ ، وقد تُحذف (مِن) ومجرورها للدلالة عليهما كقوله تعالى "أنا أكثرُ منك مالاً وأعزُّ نفراً" ، أي : (وأعزُّ منك نفراً).

وفُهم من كلامه أن أفعل التفضيل إن كان بـ(أل) أو مضافاً لا تصحبه (مِن) فلا تقول : زيدٌ الأفضلُ مِن عَمروٍ ، ولا : زيدٌ أفضلُ الناسِ مِن عَمروٍ ، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان أفعل التفضيل خبراً كالآية الكريمة ونحوها وهو كثيرٌ في القرآن الكريم ، وقد تُحذف منه وهو غير خبر كقول الشاعر : دنوتِ وقد خلناكِ كالبدرِ أجملا فظلَّ فؤادي في هواكِ مضلّلا
فـ(أجمل) أفعلِ تفضيلٍ وهو منصوب على الحال من التاء في (دنوتِ) وحُذفت منه (مِن) ، والتقدير : دنوتِ أجملَ من البدرِ ، وقد خلناكِ كالبدرِ.

يلزم أفعل التفضيل المجرد الإفراد والتذكير كذلك المضاف إلى نكرة نحو : زيدٌ أفْضَلُ مِن عَمروٍ ، و: أفْضَلُ رجلٍ – هندٌ أفْضَلُ مِن عَمروٍ ، و: أفْضَلُ امرأةٍ – الزيدان أفْضَلُ مِن عَمروٍ ، و: أفْضَلُ رجلين – الهندان أفْضَلُ مِن عَمروٍ ، و: أفْضَلُ امرأتين – الزيدون أفْضَلُ مِن عَمروٍ ، و: أفْضَلُ رجالٍ – الهنداتُ أفْضَلُ مِن عَمروٍ ، و: أفْضَلُ نساءٍ ، فيكون (أفعل) في هاتين الحالتين مذكراً ومفرداً ولا يُؤنث ولا يُثنى ولا يُجمع.

إذا كان أفعل التفضيل بـ(أل) لزمت مطابقته لما قبله في الإفراد والتذكير وغيرهما نحو : زيدٌ الأفضل – الزيدان الأفضلان – الزيدون الأفضلون – هند الفضلى – الهندان الفضليان – الهندات الفضل أو الفضليات ، ولا يجوز عدم مطابقته لما قبله فلا يُقال : الزيدون الأفضل ، ولا : الزيدان الأفضل ، ولا : هند الأفضل ، ولا : الهندان الأفضل ، ولا : الهندات الأفضل ، ولا يجوز أن تقترن به (مِن) فلا يُقال : زيدٌ الأفضلُ مِن عَمروٍ ، أما قول الشاعر :

ولستَ بالأكثَرِ منهم حصى وإنما العِزة للكاثر

فيُخرّج على زيادة الألف واللام ، والأصل : ولست بأكثرَ منهم ، أو جعل (منهم) متعلقاً بمحذوف مجرد عن الألف واللام لا بما دخلت عليه الألف واللام والتقدير : ولستَ بالأكثرِ أكثرَ منهم.

إذا أُضيف أفعل التفضيل إلى معرفة وقُصد به التفضيل جاز فيه وجهان : أحدهما : استعماله كالمجرد فلا يطابق ما قبله ، فتقول : الزيدان أفضل القوم – الزيدون أفضل القوم – هند أفضل النساء – الهندان أفضل النساء – الهندات أفضل النساء ، الثاني : إستعماله كالمقرون بالألف واللام فتجب مطابقته لما قبله فتقول : الزيدان أفضلا القوم – الزيدون أفضلوا القوم ، وأفاضل القوم – هند فضلى النساء – الهندان فضليا النساء – الهندات فضّل النساء ، أو فضليات النساء ، ولا يتعين الإستعمال الأول خلافاً لإبن السراج ، وقد ورد الإستعمالان في القرآن الكريم فمن استعماله غير مطابق قوله تعالى "ولتجدنّهم أحرصَ الناسِ على حياةٍ" ، ومن استعماله مطابقاً قوله تعالى "وكذلك جعلنا في كل قريةٍ أكابر مجرميها" ، وقد اجتمع الإستعمالان في قوله (عليه الصلاة والسلام) (ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يَألفون ويُؤلفون) ، والذين أجازوا الوجهين قالوا الأفصح المطابقة ، وإن لم يُقصد التفضيل تعينت المطابقة كقولهم : الناقص والأشج أعدلا بني مروان ، أي : عادلا بني مروان.

وما قيل من استعمال صيغة أفعل لغير التفضيل قوله تعالى "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه" ، وقوله تعالى "ربكم أعلم بكم" ، أي : وهو هيّنٌ عليه ، وربكم عالمٌ بكم ،

وقول الشاعر : وإن مُدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم

أعجل أي : لم أكن بعجلهم ، وقول الشاعر :

إنّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول

أي : دعائمه عزيزة طويلة ، وهل ينقاس ذلك أم لا ؟ قال المبرّد : ينقاس ، وقال غيره : لا ينقاس وهو الصحيح ، وذكر صاحب الواضح أن النحويين لا يرون ذلك ، وأن أبا عبيدة قال في قوله تعالى "وهو أهون عليه" ، أنه بمعنى (هيّن) ، وفي بيت الفرزدق وهو الثاني أن المعنى عزيزة طويلة وأن النحويين ردوا على أبي عبيدة ذلك وقالوا لا حجة له في ذلك.

إن كان أفعل التفضيل مجرداً جيء بعده بـ(مِن) جارةً للمفضل عليه نحو : زيدٌ أفضلُ من عَمروٍ ، و(مِن) ومجرورها معه بمنزلة المضاف إليه من المضاف فلا يجوز تقديمهما عليه كما لا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف ، إلّا إذا كان المجرور بها إسم إستفهام أو مضافاً إلى اسم استفهام فإنّه يجب حينئذٍ تقديم (مِن) ومجرورها نحو : ممن أنت خير ؟ من أيهم أنت أفضل ؟ من غلام أيهم أنت أفضل ؟ وقد ورد التقديم شذوذاً في غير الاستفهام كقول الشاعر : فقالت لنا أهلاً وسهلاً وزوّدت جنى النحل ، بل ما زوّدت منه أطيب
والتقدير : بل ما زوّدت أطيب منه ، أيضاً قول ذي الرّمة :
ولا عيب فيها غير أنّ سريعها قطوفٌ وأنْ لا شيء منهنّ أكسل
التقدير : وأن لا شيء أكسل منهن ، وقول الشاعر :
إذا سايرت أسماء يوماً ظعينة فأسماء من تلك الظعينة أملح
التقدير : فأسماء أملح من تلك الظعينة.

لا يخلو أفعل التفضيل من ان يصلح لوقوع فعل بمعناه موقعه أو لا ، فإن لم يصلح لوقوع فعل بمعناه موقعه لم يرفع ظاهراً ، إنما يرفع ضميراً مستتراً نحو : زيدٌ أفضلُ مِن عمروٍ ، ففي (أفضل) ضمير مستتر عائد على (زيد) ، فلا تقول : مررت برجلٍ أفضلَ منه أبوه ، فترفع (أبوه) بـ (أفضل) إلا في لغة ضعيفة حكاها سيبويه.

أما إن صلح لوقوع فعل بمعناه موقعه صحَّ أن يرفع ظاهراً قياساً مطرداً وذلك في كل موضع وقع فيه (أفْعَلُ) بعد نفي أو شبهه ، وكان مرفوعه أجنبياً مفضلاً على نفسه باعتبارين نحو : ما رأيت رجلاً أحْسَنَ في عينه الكحلُ منه في عين زيد ، فـ(الكحل) مرفوع بـ(أحسن) لصحة وقوع فعل بمعناه موقعه نحو : ما رأيت رجلاً يَحْسُنُ في عينه الكحل كزيد ، ومثله قوله (عليه الصلاة والسلام) (مَا مِن أيامٍ أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه في عشر ذي الحجة) ، وقول الشاعر ، أنشده سيبويه :
مررت على وادي السّباع ولا أرى كوادي السّباع – حين يظلم – واديا
أقلّ به ركبٌ أتوه تثيةً وأخْوَفَ – إلّا ما وقى الله – ساريا
فـ(ركبٌ) مرفوع بـ(أقلَّ).